على ضفتى قناة السويس

٩

قوات شارون فى موقف صعب

أكتوبر

يتبع المؤلف فى فصله السادس خط سير القوات الإسرائيلية التى نفذت من الثغرة واستقرت على الضفة الغربية ، وحتى قرار وقف إطلاق النيران فى الثانى والعشرين من أكتوبر . ولم يكن اعتراف المؤلف بأن أكبر ما أنجزته القوات الإسرائيلية جاء بعد قرار وقف إطلاق النيران ، إلا ليشيد بما حققته قواته هو . هذا فى الوقت الذى لم يقدم فيه دليلا على قيام القوات المصرية بخرق هذا القرار . ويقدم المؤلف لأحداث هذه الفترة بالحديث عن الإغارة التى قامت بها قوات شارون على بعض قواعد الصواريخ ، والتى أدت إلى هرولة القوات المصرية إلى موقع الثغرة لتفتح صفحة أخرى من صفحات البطولة .

تأليف : ابراهيم ادات

عرض وتلخيص : حسام الدين رشاد

ليس هناك شك فى أن قوات شارون قد انزلقت إلى موقف صعب ، لقد قاتلت بجرأة وجسارة ، لكنها سحقت تماما . ولحسن حظها كان رد فعل العدو فى البداية بطيئا . لكنها لم تحسن للأسف استغلال ذلك . إن هذه الغارة أتت فى غير أوانها ، فقد كانت بمثابة إشعار للقوات المصرية بخطرها بوجود قواتنا هنا الأمر الذى أدى إلى هرولة القوات المصرية إلى قطاع العبور ، هذا فى الوقت الذى كنا لم نقم جسور العبور بعد أو قبل أن نعرف متى سنقيمها ؟ إن مثل هذه الغارة كان يمكن أن تكون أكثر إيجابية لو أن قواتنا انطلقت من قاعدة رأس الحسر وقبل أن ينجح العدو فى استدعاء قواته وحشدها بالمنطقة ، ومن ثم فإن مساوىء هذه الغارة قد طغت على مزاياها . هناك خطأ آخر وقع فيه ناجم عن خروجه عن خطة القيادة .

فعل خلاف ما نصت عليه الخطة ، فقد تحصنت قوات شارون الموجودة على رأس الحسر على ضفة ترعة المياه الحلوة الشرقية ، وذلك بدلا من أن تستعد على طريق حافيت . وهذا المكان قد منح لنا واطمئنانا لشارون ، لكنه نسى أنه أعطى الفرصة للمصريين ليتحصنوا هم الآخرون داخل الحاجز الزراعى إلى المنطقة الزراعية بالضفة الغربية وراء القناة مباشرة ، ولما كانت هذه المنطقة مغلقة ومن الصعب اجتيازها ، فقد تمكن المصريون من وقف تقدمنا من قاعدة رأس الجسر . كما كان ثمة خطر يهدد مركباتنا التى كانت محملة بالذخيرة والوقود على طريق عكابيش ، ولو كان المصريون قد تنبهوا لها وهاجموها بمدرعاتهم من الشمال لكانوا أحلوا بنا كارثة حقيقية . إننى عندما أتذكر معركة العبور ، وأتذكر الفجوات الكبيرة التى ظهرت بين ما خططنا له وبين ما حدث أقول إننا بدأنا هذه المعركة بلا أى إعداد كاف ، وكان التخطيط مليئا بالأخطاء ، وبالتالى جاء الأداء خاطئا وليس هناك شك فى أن هذه المعركة كانت شرسة جدا ، لقد حارب المصريون باستبسال وإصرار وتضحية ، وحاربنا نحن فيها بطولية . والآن وفى نهاية معركة العبور التى دامت أربعة أيام ، فإنه قد حشدت فى القطاع الغربى قوات أخرى ، وصدرت الأوامر لنا بالاقتحام غربا ، والخوض مقاتلين فى تجهيز الدبابات وإعدادها للعمل قبل أن يلوح الفجر بأصواته على مرحلة أخرى جديدة من مراحل الحرب .

مهمة شاقة :

كان مقررا أن تقوم بعملية الاختراق لعمق أراضى العدو مجموعة عمليات ، ومهمتها التوجه صوب السويس . أما المجموعة الثالثة فتقع بالقرب من « مكسار » كاحتياطى . وسرعان ما تغيرت هذه الخطة بايعاز من شارون حيث طلب من القيادة عدم تقسيم قواته وبقاءها لتأمين وتوسيع رأس الجسر شمالا . وقد تسبب هذا التغيير فى حدوث بعض الارتباك والتأخير . زد على ذلك قصف المدفعية المصرية لرأس الجسر الذى أدى إلى تعطل خروجنا . وكان المصريون قد قاموا بسحب ما تبقى من بطاريات الصواريخ للخلف عقب إغارة حاجم عليها ، وفى السادسة والثلث بدأ جباى يتقدم بكتيبتين ثم لحقه تباعا بقية الكتائب . لقد كانت مهمتنا شاقة . حقا فقد كان علينا الاختراق من منطقة بها قواعد صواريخ كثيرة وكتائب مدفعية . إلى جانب وجود ثلاثة ألوية دبابات تقع إلى الغرب من قواتى . وهى الألوية التى هرولت إلى المنطقة فى الليلة السابقة .

ورأيت أن يكون الاختراق من محورين حيث يتقدم لواء نتكا جنوب « عرال » إلى تلال جنيفة . أما لواء جباى فيحاصر . منطقة جباح المطلة على تقاطع طريق حافيت دون أن يحتله ، ثم يتسلل جنوبا من حافة الحاجز الزراعى متقدما إلى محور « حافيت » تاركا قوة تعلق الطريق إلى مطار فايد ثم غربا إلى منطقة عابدة ، فتلال جنيفة فى النهاية . وبين اللواءين ولواء « ما » يتحرك لواء أرياه للمساعدة . واستطعنا فى هذا اليوم (١٩) التوغل إلى عمق ٣٥ كم من الاتجاه الجنوبى الغربى ، ولم تكن هذه بالمهمة اليسيرة فقد كان لنا مصابون فى جميع الأولوية كما لاقت جميع كتائبنا إصابات بالغة كان أكثرها إصابة كتيبة جيورا . وظل المصريون يقصفون منطقة الجسور قصفا عنيفا طوال اليوم . الأمر الذى صعب على قوافل الإمداد المرور . ولحسن حظنا ، فإن احتلالنا لمنطقة « صاح » مكننا من التحرك على طريق « سكرانوت » .

أما شارون الذى كانت لديه على الضفة الغربية حوالى ١٠٠ دبابة ، والذى وافقت له القيادة على البقاء بمنطقة رأس الجسر لتأمينها وتوسيعها ، فإنه لم ينجح إلا فى توسيع رأس الجسر لمسافة ٢ – ٣ كم شمالا ، فقد أحبط المصريون تقدم ألويته بصواريخهم .

أما كاتالان ، فقد كان التعاون وثيقا بينى وبين قواته . فلولا احتلاله لمنطقة صاح ، لما وصلنا أى امدادات . وبالتالى خطط عمليات العدو (٢٠) فقد أصدرت القيادة أوامرها باستمرار التقدم جنوبا إلى السويس .

كما أعلنت جولدا مائير أنه من المحتمل أن يتم وقف إطلاق النيران بعد ثلاثة أيام .

أما على الجانب الآخر ، فقد تمكن المصريون من تقوية وتدعيم أجهزة الدفاع للحيلولة دون الاختراق للقاهرة ولعدم تمكيننا من محاصرة الجيشين ، ولذلك انتشرت ثلاث فرق مدرعة وفرقة مشاة على شكل قوس حول قواتنا بالضفة الغربية . وأحدثت القوات المصرية لحاصر مدرعاتنا بالجيب ، وواصلت المدفعية قصفها المكثف على رأس الجسر وانتشرت كتائب الكوماندوز . كما قامت الدبابات المصرية بنصب

جولدا مائير أعلنت أن وقف النار سيتم بعد ثلاثة أيام

فشل شارون فى احتلال الاسماعيلية

كانيا تحطمت الحاجز الترابى وبالتلال . ونتيجة لاشتداد مقاومة العدو خاصة أوقات الظهر فإن تقدم قواتنا فى يوم العشرين من أكتوبر كان بطيئا إلا أننا تمكنا من إصابة صواريخ العدو وقضينا ليلة الحادى والعشرين من أكتوبر فى إعلاء عدد كبير من المصابين . أما شارون ، فقد بلغ إجمالى ما طهرته قواته فى هذا اليوم حوالى ٣ كم شمالا فى الضفة الغربية . أما محاولاته للتقدم إلى قطاع « ميسورى » بالضفة الشرقية فقد أحبطها المصريون ، وكان قد عارض ذلك فى البداية وأظهر ميلا للقيادة لشن هجوم على الإسماعيلية وحصار الجيش الثالث . إلا أن القيادة رفضت ذلك إذ رأت أن طموحه يفوق قدرته على ذلك .

قتال ٢١ و ٢٢ أكتوبر

ليس هناك شك فى أن قتال يوم ٢١ أكتوبر جاء مخيبا جداً لآمال القيادة فى الضفة الشرقية لم يتحسن الموقف . على العكس فقد فشلت الهجمات التى قام بها شارون على حموظل وميسورى وتكبدنا خسائر بالغة . وفى الضفة الغربية لم يحقق شارون سوى تقدم بطىء ، أيضا بلغ من ٢ : ٣ كم . أما مجموعة عملياتى فقد تقدمت هى الأخرى قليلا بالمنطقة الواقعة جنوب « جنيفة » وأعيد تشغيل مطار فايد حيث تحول إلى منطقة إيواء وبدأت تهبط فيه طائرات النقل حاملة الإمدادات . إلى جانب ذلك فقد فتحنا طريق « حافيت » لإجلاء المصابين عليه . ولتحرك قوافل الإمداد به ، إلا أن هذه القوافل عندما تحركت ليلا ، ووجهت بكثافة العدو الذى تمكن من اشعال النيران فى عربات الوقود ونعالت ألسنة اللهب لتغطى الطريق . حقا لقد كانت المنطقة صعبة ، والعدو لا يزال يحارب فيها بإصرار واستبسال . وقضينا ليلتنا فى تطهير المناطق المتبقية التى مررنا بها ، والتى اعتقدنا أننا أنهينا

بارليف

شارون

تطهيرها وفى أثناء ذلك اتصل بى أورى (نائب جونين) ليبلغنى برغبة القيادة فى أن أشن الهجوم من أقصر طريق شرقا عن طريق « متسيلا » و « عوفداه » لكننى صممت على الهجوم عن طريق « سيريج » وذلك لقطع آخر شرايين إمداد الجيش الثالث وهو طريق السويس القاهرة . وفى الخامسة صباحا تلقيت الموافقة .

وبعد عشر دقائق ، بدأ نشاطنا إذ أصدرت أوامرى إلى جباى بالهجوم بحركة الكماشة من شاطىء البحيرات المرة ، ومن محورى عاجون وحافيت . ومن هناك شمالا إلى مؤخرة العدو أما أرياه فيهاجم من الغرب إلى الشرق وإلى تمكا بالاتجاه جنوبا إلى محور « سيريج » ثم شرقا إلى معسكرات « عجرود » وكان عدد دبابات الألوية كلها بالضفة الغربية ١٧٥ دبابة ، وكان هذا الهجوم أشبه بهجوم شامل . وابتداء من الساعة التاسعة بدأنا تلقى المساعدة الجوية والمدفعية التى تأخرت كثيرا . فقد ظلت طائراتنا مشتبكة مع قواعد الصواريخ المصرية حتى الثامنة والنصف صباحا . ولكن للأسف ، فسرعان ما تبين أن تقدمنا يجرى بطيئا . فقد كان لايزال امامنا حوالى ٢٠ كم من قناة السويس . فقد أحست أن الوقت قد أزف حيث أذاع الراديو أن المصريين واقفوا على وقف إطلاق النيران وسوف يسرى هذا القرار بعد ثلاث ساعات . كان علينا أن نسرع . وفى الخامسة كنا قد قطعنا نصف الشوط فقد وصلنا إلى « تسيدون » وبقيت دقائق على وصولنا إلى « مينا » و « كيلو » وفى السابعة تقريبا اتصل بى بارليف ليسألنى عن الوضع وليخبرنى بأن وقف النيران سوف يسرى بعد دقيقتين .

أما عن موقف العدو وفعاله فى هذا اليوم (٢٢ أكتوبر) فقد ظل طوال هذا اليوم يشن هجمات مضادة على مواقعنا ومحاور تقدمنا مستخدما مقاتلاته ومدفعيته ودباباته وصواريخه حيث كانت فى مواجهتنا تلف قوات تابعة للفرقة المدرعة ٤ والفرقة الميكنة ٦ كما كانت تتاثر بطول قطاع البحيرات المرة المتبقى معسكرات كان يعمل بها جنود كوبيون وفلسطينيون .

وكانت المواجهة مع العدو فى كل القطاعات تقريبا واتصلت بالقيادة لمعرفة ما حدث فى قطاع شارون فى هذا اليوم (٢٢) فعلمت أن طوبيا خاض معركة عنيفة مع المصريين فى « ميسورى » حتمها المصريون بصاروخ سكاد (الذى يحمل طبى متفجرات) أطلقوه قبيل وقف إطلاق النيران راح ضحيته ٧ جنود . أما لواء اماتون فقد وصل بالقرب من ترعة الإسماعيلية . وعندما أسند شارون إليه مهمة دخول الإسماعيلية واحتلالها ، تظلم قائلا : ليست لدى قوات تقريبا – هذا غير عمل ! وبالفعل أحبطت كل محاولات شارون لدخول الإسماعيلية

أما حايم فقد وصل إلى محور « نورا » .

فى ظل وقف النيران

بعد الاشتباك المريع الذى عاضته كتيبة اليشيف مع العدو والذى أصيب له فيه (اليشيف) ٣٢ دبابة و ٣ زلدا وخمس مجنزرات وخمسة قتل و ٤٨ جرحى ، وبعد إصابة الكثير من أفرادنا أثناء عبور قيادة مجموعة العمليات فى ليلة الثالث والعشرين ، كانت تسمع طلقات النيران من أماكن متفرقة فكنت أذكر القيادة بين الحين والآخر أن وقف اطلاق النيران غير قائم إلا أننى لم أتلق أمرا صريحا يخالف ما تلقيته سلفا بـ « وقف التقدم جنوبا » احتل المصطبة الموجودة بالقرب من (تسيدون) مرة ثانية ، طهر ما لديك من أراضى .

كان من الصعب أن أصدق هذا . لقد أردت حصار الجيش الثالث وليحدث ما يحدث . وكان من الطبيعى ألا يحترم وقف إطلاق النيران . إن الكتيبين كانوا يشاركوننى هذه الأحاسيس فقد اتصل كالمان بجونين معارضا وقف النيران ، فرد عليه جونين « نحن فى الجيش نتلقى الأوامر ، إن قرار هذه المعركة أخذته مصر ، وقرار وقف إطلاق النيران اتخذته الحكومة الإسرائيلية ، أما نحن العسكريين فقد قلنا كلمتها » .

كانت ليلة عصيبة علىّ ، وفى منتصف الليل نهضت من فراشى واتصلت بجونين قلت له : إن وقف إطلاق النيران لا يحترم وبما أن الأمر كذلك فإننى سأواصل القتال غدا ، ولا أعتقد أن وقف

والعدو لا يزال يحارب باصرار واستبسال

إطلاق النيران سيستمر

وفى العاشرة والثلث صباحا (٢٣) تلقينا نغمة مشجعة إذ أبلغ جونين نائبى دوفيق بتوجيه قوات ماجين جنوبا لإتمام حصار الجيش الثالث . أما مهمتنا فاستمرار التطهير ، وأن نكون احتياطيا لماجين . وفى الحادية عشرة أدرك جونين أن ماجين يواجه صعوبات كثيرة وأن موقفه صعب . فقد أراد جونين أن تتم العملية فى الواحدة بينما لن يستطيع كلهان التحرك قبل الثالثة . وعدل جونين عن رأيه فأسند إلىّ المهمة فى الثانية عشرة والثلث فأهاجم أنا أولا . ثم يتبعنى ماجين من جناحى الغرب وحدد لبدء العملية الساعة الثانية . وطرت فرحا ، فالآن سنستكمل حصار الجيش الثالث ، الذى يبلغ قوامه حوالى ٣٠ ألف رجل ولديه حوالى ٣٠٠ دبابة و ٣٠٠ مدفع ولم يكن ذلك هينا .

كان شغل الشاغل هو تجميع القوات المهاجمة . وعلى الفور قررت أن استل جباى فقد انسل بلواله هو وارياه من الحاجز الزراعى ومن المعسكرات واستعدوا على محور حافيت بعرض ٨ كم . وأوشك ارياه على التحرك شرقا وجباى من الغرب . وفى الثالثة تحركا . فأخذت أرتال المدرعات تشق طريقها جنوبا . كان علينا أن نهب حوالى ٢٠ كم فى منطقة مليئة بالتلال المنخفضة تشقها الأودية والقنوات المتواصلة بعرضها وطولها . كانت المنطقة إلى جانب ذلك خاصة بالمصريين المتخندقين « فى كل عمق مصر » وحشود من المركبات بعضها معطاة جالية وبعضها يتحرك وعلى التلال أعداد كبيرة من أجهزة الرادار والصواريخ .

وفجأة تمطر أرياه الفرقة ١٩ الموجودة بالغابات الزراعية بصواريخ ساجر فى جناحه اليسارى فتصيب دباباته وانخفض معدل تقدمه وأخيرا وصل إلى مطار الشلوفة فقط (على بعد ١٠ كم شمال السويس) واستمر جباى فى تقدمه ووصل إلى مفترق طريق « مسعاف – مرفيق » . واستعجلت نتكا بالإسراع فى تقدمه جنوبا داخل الحاجز الزراعى . وتقدم جباى ووصل إلى خليج السويس . واستولى ماجين على ميناء « الأدبية » البحرى .

لقد انقضت ستة أيام منذ عبورنا القناة ، فى حين أن واضعى خطة « الشجعان » قد رصدوا لهذه المهمة ستا وثلاثين ساعة فقط ، أى حوالى يوم ونصف . ولو أن النيران توقفت بالفعل فى مساء الثانى والعشرين من أكتوبر لما كنا أتممنا إنجاز هذه المهمة . فهل حاربنا بكسل ؟ لقد كان إحساسنا نحن قادة الجيش المدرع فى أعماقنا أنه عندما يتحول مصير الحرب إلى غير صالح المصريين ولصالحنا ، فان مخاوف فرض وقف إطلاق النيران علينا تكون كبيرة بيد أن هذا الإحساس قد بهت فى هذه الحرب وتبلد .

ويرجع ذلك إلى رفض العرب المرة تلو الأخرى لاقتراحات وقف إطلاق النيران المذكورة وكذلك إلى طابع هذه الحرب المدروس حيث تميزت هذه الحرب بطولها . وهكذا ساد الإحساس بأن « قواعد اللعبة » قد تغيرت هذه المرة ، أى أن الدول الكبرى لن تفرض وقف إطلاق النيران إلا فى الوقت المناسب . ولما شاع الإحساس بأنه لا يزال هناك وقت حرصنا على أن يكون قتالنا جذريا وبطيئا . وكانت الأسباب لذلك وجيهة : تكدس أعداد هائلة من المصابين وتآكل الوحدات ، وعدم وجود قوات احتياطية لم تشترك فى الحرب . ولا غرابة إذن فى أن تحمل أوامر القيادة عبارات مثل : « الهجوم بحذر لا اختراق آخر ، احتلال هدف ما لم يكن ذلك مقرونا « بخسائر أخرى جسيمة » .

ويتحفى المؤلف فى تحليه مستعرضا الحجارات قواته هذه الفترة خاصة بعد وقف إطلاق النار مشيرا بنفس الموضوعية التى استهل بها كتابه إلى عنف المقاومة المصرية التى لاقاها فى كل مكان تقدم فيه بالضفة الغربية . ثم يتحدث بعد ذلك عن أساليب عمل مجموعات العمليات وبدى ملاحظاته على العمليات « الخاطفة » التى تضمنتها أوامر القيادة الإسرائيلية وكيف إنها فشلت لعدم الإعداد الكافى لها ولصغر حجم القوات أمام ما فرض عليها من مهام . ثم يعرض للخلافات التى نجمت بينه وبين قيادته ، وفى النهاية يعرض لموقف شارون أيضا فى هذه الفترة فيكشف لنا عن رفض شارون للامتثال لأوامر قادته ولإصرارة على رأيه بالهجوم على الإسماعيلية واحتلالها رغم أنه لم تكن لديه القوة الكافية اللازمة لذلك ، وكيف أنه فشل فى جميع معاركه المدرعات وذلك لتركيز هجومه على « المقدمة » وفى أماكن مغلقة . . ثم يخرج شارون بعد الحرب على الشعب ليبدى ضجره من قيادته مرددا عبارته الشهيرة : « لو لم يجعلوني من . . . . ؟ ؟ » عند هذا الحد ، نتركه هنا ليواصل حديثه عن شارون ، ماله وما عليه وعن مناقبه ومثالبه ، وحمقه وحكمته ، لنتنقل فى العدد القادم إن شاء الله إلى الفصل الأخير من كتابه ، والذى يتحدث فيه عن معركة السويس .

البقية فى العدد القادم

CITIBANK

يقدم

أعلى سعر فائدة

١٦٪

لدفاتر التوفير الذهبية